مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م ٣٢ ع ٤، ص ص: ١ – ٢٣ (٢٠٢٤م)
DOI:10.4197/Art.32-4.1

تأسيس برنامج أكاديمي للطلبة الدوليين في الدراسات الأدبية المقارنة: الجدوى الثقافية والتحديات والحلول*

مصطفى محمد تقي الله بن مايابا[١] ولبنى محمد إبراهيم الشنقيطي[٢]

[١] أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، و[٢] أستاذ مشارك، قسم المواد العامة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية

المستخلص. تحولت دراسات الأدب المقارن في كثير من الجامعات العالمية، شرقًا وغربًا، من الهامش إلى المركز، وتنوع اهتمام تلك الجامعات بهذا الحقل المرتبط بالدراسات اللغوية والأدبية بين تضمين مقرراته في مناهجها، أو تخصيص برامج أكاديمية متخصصة في الدراسات الأدبية المقارنة، أو تأسيس أقسام متخصصة في الأدب المقارن. وتتبع الدراسة منهجًا وصفيًا لتقدم مقترحًا لتأسيس برنامج أكاديمي في الدراسات العليا بجامعة سعودية يُعنى بتدريس الأدب المقارن ويستهدف الطلبة الدوليين من الناطقين بغير العربية؛ ليدرسوا الأدب العربي السعودي وتاريخه وموضوعاته ونماذج منه، ويقارنوها بآدابهم القومية بطريقة منهجية تقوم على الأسس العلمية للمنهج المقارن. وتوضح الدراسة مدى انسجام رؤية البرنامج المقترح ورسالته الثقافية والحضارية مع التوجهات الثقافية لبرنامج جودة الحياة في المملكة ٢٠٣٠، كما تصف طبيعة مفهوم الأدب المقارن الذي يستند إليه البرنامج في مقرراته ومدى ملاءمته لرؤية البرنامج ورسالته الثقافية، وتصف الدراسة المخرجات والنتائج المتوقعة من إعداد طلبة دارسين للثقافة والأدب السعوديين؛ ليكونوا وسطاء بين الثقافة والأدب العربي السعوديين وثقافاتهم وآدابهم الوطنية

الكلمات المفتاحية: العربية، الطلبة الدوليون الناطقون بغير العربية، الأدب المقارن، الآداب غير العربية، الجامعات السعودية، الدراسات العليا.

* تم تمويل هذا العمل البحثي من خلال مشاريع التمويل المؤسسي بموجب المنحة رقم (IFPAS-067-125-2020). ويتقدم المؤلفون بالشكر والامتنان للدعم الفني والمالي من وزارة التعليم ومن جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.

المقدمة

لقد مرت دراسات الأدب المقارن في الجامعات العالمية بمراحل تاريخية متعددة تباينت بحسب الرؤية السائدة تجاه بنية ومحتوى الدراسات الأدبية المقارنة خلال كل مرحلة. فعلى سبيل المثال، تأثرت برامج الجامعات الفرنسية في القرن العشرين بالرؤية التاريخية الفرنسية للأدب المقارن المعتمدة على ثنائية المستعِمر الأوروبي والمستعمَر غير الأوروبي، والتي تجلت من خلال أعمال نقاد بارزين مثل كجوزيف تيكست Joseph Texte (ت. ١٩٠٠م)، وفرناند بالدنسبرجر Fernand Baldensperger (ت. ١٩٥٨م)، وباول هازارد Paul Hazard (ت. ١٩٤٤م). وألقيت المحاضرة الرسمية الأولى في الأدب المقارن في جامعة ليون عام ١٨٩٧، حيث رُشّح جوزيف تيكست ليكون أول أستاذ في الأدب المقارن. وفي عام ١٩٠١، خلفه فرناند بالدنسبرجر في هذا المنصب. كما أقيمت المحاضرة الثانية للأدب المقارن في جامعة باريس عام ١٩١٠.[١]

من ناحية أخرى، تأثرت برامج الجامعات الأمريكية برؤية الانفتاح على الآخر، وبرؤى المقارنين الأمريكيين مثل رينيه ويلك Rene Wellek (ت. ١٩٩٥م)، وهنري ريماك Henry Remak (ت. ٢٠٠٩م). وقد اتخذت العديد من هذه البرامج الأكاديمية منحى يرتكز على التخصصات البينية، وعلى رأسها الدراسات الثقافية التي بدأت ترتبط بشكل متزايد بالأدب المقارن. وقد شق هذا الارتباط طريقه كذلك إلى إدارة الأقسام الأكاديمية، كما هو الحال في قسم الدراسات الثقافية والأدب المقارن بجامعة مينيسوتا الأمريكية.

ورصدت جيل فيني (Gail Finney) (ت. ٢٠٢٢م) تحفظ عدد من المقارنين على التركيز التاريخي أو الأدبي المبالغ فيه في دراسات الأدب المقارن، فانتقلوا إلى مجال الدراسات الثقافية الذي يهتم بالتحول الاجتماعي والتغيير الثقافي على الثقافة الشعبية والمعاصرة. وقد أدى استيعاب الأدب المقارن في الدراسات الثقافية إلى انفتاح من حيث نوع الخطاب ومستواه وميدان الدراسة بحيث تشمل المسرح والسينما وغيرهما بما يعزز العلاقة بين الأدب المقارن والدراسات الثقافية.[٢] وتجسد هذا الارتباط في رأي فيني في العديد من طلبة برنامج الدراسات العليا في الدراسات الثقافية في جامعة كاليفورنيا في ديفيس (University of California, Davis) حيث تخرج أحدهم متخصصًا في الأدب المقارن والفلسفة، وكانت أطروحته الفخرية حول تمثيل انتحار المزارعين في الهند ما بعد الإصلاح، مسلطًا الضوء على الأغذية المهمة والدراسات

---

(١) Cao, Shunqing, (2014), The Variation Theory of Comparative Literature, Berlin, Springer Science & Business Media, p. 7.

(٢) Finney, Gail, (2017)"The Reign of the Amoeba: Further Thoughts about the Future of Comparative Literature" In Futures of Comparative Literature: ACLA State of the Discipline Report, ed. Ursula K Heise, Taylor & Francis, (19-23), p19.

الزراعية. وتخرج طالب آخر في كلية أوبرلين (Oberlin College) متخصصًا في الدراسات الأمريكية المقارنة وتخصص فرعي في اللغة الإنجليزية، واعتمد في أطروحته على نظريات الخروج عن المألوف والعرق النقدية لاستكشاف كيف أن الرقمنة السريعة للثقافة الأمريكية تنتج تشريعات جديدة للتأثير والرغبة، بينما تعتزم طالبة أخرى حاصلة على بكالوريوس في اللغة الإنجليزية دراسة ممارسات؛ مثل: المراقبة وعمليات القتل المستهدفة أثناء التفاوض عليها من خلال المساحات الرقمية وداخلها. وترى فيني أن هذه العينات من الدراسات الأكاديمية تنطلق من الدراسات الثقافية، وتمثل رؤية طلبة المستقبل للدراسات الأدبية المقارنة.[٣]

ويجد المتأمل في الدراسات المقارنة –عامة– ودراسات الأدب المقارن –على وجه الخصوص– في الجامعات السعودية أن مساحة التطوير الكمي والنوعي واسعة، وأن دوافع تفعيل الدراسات الأدبية المقارنة متعددة، وفي مقدمتها انسجام تلك الدراسات مع التوجهات الثقافية للمملكة. من هنا؛ تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي لتقدم مقترحًا لاستحداث برنامج دراسات عليا متخصص في تدريس الأدب المقارن يستهدف الطلبة الدوليين من الناطقين بغير العربية؛ ليدرسوا تاريخ وواقع ونصوص وموضوعات ومصادر الأدب العربي السعودي –بوصفه فرعًا من فروع الأدب القومي العربي– ويقارنوها بآدابهم القومية وآداب اللغات الأخرى التي يتقنونها إن كانوا ينتمون إلى مجتمعات أو عوائل ثنائية اللغة، أو اكتسبوا اللغة الثانية بالتعلم. وتصف الدراسة طبيعة الرؤية والرسالة الثقافية والحضارية التي يقوم عليها البرنامج المقترح، ومفهوم الأدب المقارن الملائم لرؤية البرنامج ورسالته، والمتلقي المستهدف والمرسل المثالي لتلك الرسالة، والمخرجات والنتائج المتوقعة من البرنامج.

١– مفهوم (الأدب المقارن) في مقررات البرنامج

ينسجم المفهوم الإجرائي للأدب المقارن في البرنامج مع رؤية الناقد الأمريكي هنري ريماك الذي يحدد الأدب المقارن بأنه "دراسة للأدب خارج حدود بلد معين، ودراسة العلاقات بين الأدب من ناحية، ومجال المعرفة والمعتقد الآخر مثل الفنون (الرسم، والنحت، والعمارة، والموسيقى إلخ...) والفلسفة والتاريخ والعلوم الاجتماعية (مثل السياسة، والاقتصاد، وعلم الاجتماع) والدين إلخ ... من ناحية أخرى."[٤] حيث يعتمد البرنامج على مقارنة الأدب العربي السعودي الذي يُعد جزءًا من الأدب العربي الحديث بالآداب غير العربية.

(٣) Finney, The Reign of the Amoeba, p 19-23..

(٤) Remak, Henry, (1961), Comparative Literature, Its Definition and Function. In: Stallknecht, N.P. and Frenz, H., Eds., Comparative Literature: Method and Perspective, Southern Illinois University Press, Carbondale, p.3.

وينطلق البرنامج في مضمون مقرراته من النص والمقاربات الداخلية كما في النقد الجديد الذي يمثله رينيه ويليك، حيث كان التحول الجذري في الأنموذج الذي مرّ به النقد الأدبي والدراسات الأدبية –كما يرى حازم البارز– "في مقاربة النصوص الأدبية من المقاربات الخارجية إلى المقاربات الداخلية، إنه التحول الذي بدأه الشكلانيون الروس وواصله النقد الجديد والبنيوية، والاتجاهات ما بعد البنيوية، وهو تحول شكل منعطفًا حادًا في تاريخ الفكر النقدي في العالم."(٥) ويهتم البرنامج كذلك بالظواهر الخارجية على طريقة سعيد علوش الذي يرى أن المقارنة الأدبية تعنى بـ"التقريب بين وقائع مختلفة ومتباعدة، في غالب الأحيان، بغاية استخلاص القوانين العامة، التي تخضع لها هذه الظواهر الأدبية. فالمقارنة تفترض ضمنيًا معرفة مسبقة واستعدادًا موسوعيًا للملاحظة، والقراءة، والتفسير، والتأويل."(٦)

من هنا؛ يعتمد مفهوم الأدب المقارن في مقررات البرنامج المقترح ومفرداتها على المناهج الداخلية والخارجية، حيث تتسع المقارنة لتشمل السياقات النفسية، والاجتماعية، والتاريخية، وغيرها من السياقات التي عاشها الأدباء وظهرت في نصوصهم المستهدفة بالمقارنة. وتعتمد مقررات البرنامج كذلك على المقارنة التحليلية للنصوص الأدبية؛ لأن النص الأدبي –استنادًا إلى الرؤية الثقافية التي يعتمد عليها البرنامج– ذو أبعاد ثقافية ترتبط بأيديولوجية المجتمع وثقافته. وفي هذا السياق؛ تؤكد النظرية الحوارية للغويين الروسيين باڤيل ميدفيديف (ت. ١٩٣٨م) / ميخائيل باختين (ت. ١٩٧٥م) Mikhail Bakhtin/Pavel Medvedev أن "العمل الأدبي جزء لا يتجزأ من البيئة الأدبية أو الوسط الأدبي، فهو عنصر من عناصر هذا الوسط الأدبي، وما هذا الوسط الأدبي إلا مجموع نواحي النشاط الاجتماعي الذي هو الأعمال الأدبية نفسها. ومن ثم فكل عمل أدبي مفرد يحتل مكانة محددة في الوسط الأدبي، وهو متأثر بهذا الوسط نفسه تأثرًا مباشراً. والوسط الأدبي بدوره جزء لا يتجزأ من الوسط الإيديولوجي العام في عصر من العصور، ووحدة سوسيولوجية بعينها. وبهذا يحتل الأدب مكانة محددة في هذه الوحدة الإيديولوجية التي تؤثر فيه وتوجهه."(٧)

وعلى الرغم من أهمية دراسة مواطن التأثر والتأثير بين الأدب العربي السعودي الذي يُعد فرعًا من فروع الأدب العربي الحديث –من جهة– والآداب الأخرى غير العربية –من جهة أخرى– إلا أن مقررات

---

(٥) البارز، حازم فاضل، (٢٠٢١م)، الأدب المقارن: مقاربة وإجراء، حازم فاضل البارز، عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، ص. ٣٧.

(٦) الكاسح، إبراهيم أنيس محمد، (٢٠٢١م)، اتجاهات الأدب المقارن، بيروت، دار الكتب العلمية. ص. ١٧.

(٧) أحمد عبد العزيز، نحو نظرية جديدة للأدب المقارن، القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢، ج١ ص٨٣.

البرنامج ومفرداتها لا تعتمد –فحسب– على تتبع التأثر والتأثير، وإثبات مواطن تأثر الأدب العربي السعودي بالآداب الأخرى. وعليه؛ فإن البرنامج لا يلتزم بالمنهجية الفرنسية التي أثّرت في عدد من النقاد العرب الذين درسوا في باريس؛ كمحمد غنيمي هلال[٨] الذي يرى أنه "لا يُعد من الأدب المقارن في شيء ما يعقد من موازنات بين كتاب من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخية حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعًا من التأثير أو يتأثر به."[٩] ويعتقد أنه "لا يصح أن ندخل في حسابنا مجرد عرض نصوص أو حقائق تتصل بالأدب ونقده لمجرد تشابهها أو تقاربها دون أن تكون بينها صلة ما نتج عنها توالد أو تفاعل من أي نوع كان."[١٠]

إن إجراءات وآليات المقارنة المناسبة لمقررات البرنامج تتسع لتشمل التأثر والتأثير بين الأدب العربي السعودي والآداب الأخرى في الماضي، والحاضر، واحتمالات حدوثهما في المستقبل. وتتجاوز ذلك إلى التجانس والتشابه بين الموضوعات، والأجناس، والظواهر، والنصوص الأدبية بين تلك الآداب. وتترك مجالًا لما وصفه محمد غنيمي هلال بـ"التأويل الخاطئ"، وذلك حين يُفسَّر الموضوع أو الظاهرة الأدبية في الأدب العربي السعودي –على سبيل المثال– بأسلوب يختلف عن تفسير النقاد السعوديين له، وهو ما قد يؤثر إيجابًا على تطور الأدب العربي السعودي؛ حيث يُنتج –في الآداب القومية– "ثمرات فنية ذات قيمة لم تكن في الحقيقة مقصودة للكاتب."[١١]

ومن أنواع المقارنة الجوهرية في مقررات برنامج الأدب المقارن الذي يستهدف الطلبة الدوليين ما يوصف بمقارنة "التباين" التي تقوم على الاختلاف؛ حيث يعد الاختلاف من أهم قوانين التفاعل والتكامل الثقافي التي تقود إلى التطوير الأدبي والثقافي. والمتأمل في حقيقة التأثر والتأثير بين الآداب يجد أنها تنطلق من التباين والاختلاف، وذلك حين يتأثر أدب بأدب مخالف له، فيحاكيه ليرتقي إلى منزلته ويشابهه. فقد اختلف الأدب العربي في القرن التاسع عشر وما قبله–على سبيل المثال– عن الأدب الأوروبي من حيث الاهتمام بفن المسرحية، قبل أن تبدأ حركة محاكاة الأدباء العرب لفن المسرح الغربي، ويتطور فن

---

(٨) ابتُعث محمد غنيمي هلال من دار العلوم إلى باريس لدراسة الأدب المقارن، ثم عاد ليصبح أستاذا في دار العلوم حيث ألقى سلسلة محاضرات جمعها في كتابه *الأدب المقارن* (البارز، الأدب المقارن، ص. ٣٧).

(٩) هلال، الأدب المقارن، ص.١٥.

(١٠) هلال، الأدب المقارن، ص.١٥.

(١١) هلال، الأدب المقارن، ص.٩٥.

المسرحية العربية في ضوء تلك المحاكاة. وكما يرى تستنشينق ساو فإن أكبر عيب في المدرسة الفرنسية هو إهمال البحث عن التباين في دراسة التأثير، كما أن المدرستين الفرنسية والأمريكية يعانيان من مشكلة تجاهل البحث عن التغيير.(١٢)

وتشمل دراسات الأدب المقارن التي تعتمد على التباين والاختلاف فكرة دراسة صورة بلد أو أمة في أدب أمة أخرى، أو ما يعرف اصطلاحًا بالإيماجولوجيا أوالصورولوجيا Imagology، كصورة العرب في الأدب العبري وصورة اليهود في الأدب الأوروبي الوسيط وغيرها. وقد ارتبطت الممارسة الأدبية للإيماجولوجيا بالصورة السلبية عن الآخر؛ حيث يبدأ التصوير النمطي للآخر في ثقافة المجتمع قبل أن ينتقل لأدب ذلك المجتمع.(١٣)

إن المتأمل في منهجية المذهب التاريخي في دراسات الأدب المقارن الذي ترتكز عليه كثير من مقررات الأدب المقارن في الجامعات العربية السعودية يجد أنها تعتمد على فكرة البحث عن دليل تاريخي يدعم جدلية التأثر والتأثير بين النصوص أو الآداب موضوع المقارنة؛ كتأثر الشاعر الإيطالي دانتي أليغييري Dante Alighieri (ت. ١٣٢١م) في كوميديته بالشاعر العباسي أبي العلاء المعري (ت. ١٠٥٧م) في رسالة الغفران، لكن وجود ذلك الدليل التاريخي –إن ثبتت صحته– لا يعني تحقق عملية التأثر أو التأثير؛ لأنها مسألة غامضة يتداخل فيها الوعي واللاوعي، ولها أبعاد نفسية واجتماعية يتعذر رصدها بدقة، ويصعب الجزم بحدوث التأثر أو التأثير بين أدبين منتميين إلى لغتين مختلفين، كما يصعب –في المقابل– الجزم بنفي ذلك التأثر أو التأثير. من ذلك –على سبيل المثال– نفي محمد غنيمي هلال لتأثر جان راسين Jean Racine (ت. ١٦٩٩م) بوليم شكسبير William Shakespeare (ت. ١٦١٦م) بحجة عدم ثبوت صلة تاريخية بينهما،(١٤) فقد يكون راسين اطلع على شيء من أعمال شكسبير دون أن يذكر ذلك في مؤلفاته. ثم

---

(١٢) Cao, The Variation Theory of Comparative Literature, p. xxi.

(١٣) من الحقول المرتبطة بالصورولوجيا ما يعرف بالأدب الاستعماري الذي اشتهر به أستاذ الأدب المقارن إدوارد سعيد (ت. ٢٠٠٣م). ولم تنشط حركة الدراسة في هذا الفرع من فروع الأدب المقارن في الجامعات الأنجلوفونية بعكس الجامعات الفرانكفونية وعدد من الجامعات الألمانية والهولندية التي بدأت الاهتمام بها في ستينيات القرن العشرين. للاستزادة؛ ينظر:

".Kapor, Vladimir, (2011), "On a Postcolonial Dialogue de Sourds: Exotisme in Contemporary French Criticism In: J. McCormack, M. Pratt, & A. Rolls (Eds.), *Hexagonal Variations: Diversity, Plurality and Reinvention in Contemporary France.* (397-411), p. 402.

(١٤) هلال، الأدب المقارن، ص.١٥.

ثم قارن ساندال Stendhal (ت. ١٨٤٢م) في كتابه (راسين وشكسبير) بين مسرحيات الكاتبين على الرغم من عدم وجود وثيقة تاريخية تثبت الصلة التاريخية بينهما.[١٥]

وفي المقابل، يصعب التحقق من تأثر أديب من أمة بأديب من أمة أخرى، حتى لو ثبت اطلاع الأول على أدب الآخر؛ لصعوبة إثبات هذا التأثير أو التأثر ليصبح معرفة حقيقية على طريقة الفلسفة الوضعية التي استندت إليها المنهجية الفرنسية في الأدب المقارن، والتي ترى أن المعرفة الحقيقية في الأدب تستند على التجربة الحسية التي يدعمها المنطق والعلوم التجريبية.[١٦]

ولم يعد منطقيًا في عصر ثورة المعلومات والإنترنت أن يعتمد برنامج الأدب المقارن على فكرة نفي حدوث التأثر أو التأثير بين أديبين من لغتين مختلفتين لعدم وجود ما يثبت تاريخيًا حدوث ذلك التأثر أو التأثير ومصدرهما. فقد زالت كثير من الحدود التقليدية بين أدباء الأمم المختلفة، وأصبحت المنتديات ووسائل التواصل الاجتماعي منصة فعالة ودائمة لتبادل التجارب الأدبية ونقل النصوص وترجمتها بين اللغات، وجمعت المؤسسات المهتمة في الأدب المقارن؛ كالرابطة الدولية للأدب المقارن ICLA[١٧] المتخصصين من قارات العالم المختلفة، كما ضمت المؤتمرات العالمية؛ كالمؤتمر السنوي الذي تنظمه المنظمة الأمريكية للأدب المقارن ACLA الأدباء الأمريكيين، والأوروبيين، والآسيويين، والأفارقة، والعرب، وغيرهم من الأمم المختلفة؛ ليقدموا نماذج من آدابهم القومية، حتى أصبح حصر الأدلة التاريخية للتأثر والتأثير –كما في المفهوم الفرنسي التقليدي للأدب المقارن الذي يتبعه محمد غنيمي هلال– مهمة شبه مستحيلة.

إن التركيز على المفهوم التاريخي للأدب المقارن يؤدي إلى التركيز على الوظيفة القومية التي ستكشف عن عوامل التميز في الآداب القومية التي قادت إلى هيمنتها على الآداب الأخرى، وهو ما ينافي –إلى حد كبير– الرسالة الإنسانية الثقافية للبرنامج المقترح وللأدب المقارن عامة؛ لأن التركيز على الأبعاد

---

(١٥) هلال، الأدب المقارن، ص.١٥.

(١٦) Cao, The Variation Theory of Comparative Literature, p. 24.

(١٧) تأسست الرابطة الدولية للأدب المقارن (ICLA) عام ١٩٥٥م لتكون موطنًا لجميع المقارنين في العالم، وتشجع التبادل والتعاون بينهم سواء بشكل فردي أو من خلال تعاون مختلف جمعيات الأدب المقارن الوطنية. وتحقيقًا لهذه الغاية، تعمل الرابطة على تعزيز الدراسات الأدبية التي تتجاوز حدود اللغات والتقاليد الأدبية الوطنية، وتتوسع لتشمل ثقافات ومناطق العالم، والتخصصات والتوجهات النظرية المختلفة، وعبر الأنواع والفترات التاريخية ووسائل الإعلام. وتمتد رؤيتها الواسعة للبحث المقارن إلى دراسة مواقع الاختلاف مثل العرق، والجنس، والطبقة، والدين. رابط الموقع الإلكتروني: https://www.ailc-icla.org/mission-statement/

القومية يقود إلى تصنيف الآداب إلى صنفين: صنف مؤثر وقوي ومتميز يقابله صنف متأثر وضعيف،[١٨] ويصبح هدف الأديب أن يثبت قوة أدبه القومي وتميزه، ويجمع الأدلة التي تؤكد تأثيره على الآداب الأخرى. وتُنتج هذه النزعة القومية عودة لما يشبه المذهب الألماني في الدراسات المقارنة الذي كان سائدًا في أوروبا وألمانيا النازية قبل بروز المذهب الفرنسي؛ حيث ارتكز ذلك المذهب على "الاعتقاد بأن الأدب الألماني هو الأعظم، وأن الآداب الأخرى هامشية، وأنه المقارنة بين نص ألماني وآخر غير ألماني ليست بين نصين متساويي القيمة؛ بل بين نصين يعبران عن حضارة سائدة وأخرى تابعة."[١٩]

وعلى الرغم من أن المنهجية التاريخية في الأدب المقارن تؤكد على الوظيفة الإنسانية التي تعمل على تقريب الأمم والحضارات والشعوب، فإنها لا تخرج الآداب القومية من إطارها اللغوي والتاريخي بالضرورة. وقد يرتبط ذلك بما يُعرف بـ"التعصب القومي الأدبي"، الذي قد يلعب دورًا سلبيًا في دراسات الأدب المقارن؛ حيث يسعى بعض الأدباء القوميين إلى تفسير كل الظواهر الأدبية المشتركة من خلال تاريخ أدبهم القومي وحده، ويعارضون تأثر أدبهم بالنماذج الأدبية العالمية. ويؤدي هذا النهج إلى رفض مقارنة الأدب القومي بآداب أخرى، ويؤثر سلبًا على تأريخ الأدباء لأدبهم القومي بنفي أي تأثيرات خارجية والإصرار على أصالة جميع الظواهر والأجناس الأدبية القومية.

ولا تلبي المنهجية الفرنسية التاريخية في المقارنة الأدبية احتياجات مقررات البرنامج ومفرداته؛ لأن إجراءات وآليات المقارنة المتبعة في تلك المنهجية تركز على السياقات الخارجية للنصوص دون تدقيق في بنيتها الداخلية. وقد أخذ الناقد الأمريكي ويلك على تلك المنهجية "التعرض لما هو خارجي بالنسبة للأدب في علاقته بالأجناس الأدبية، كالمجتمع والسياسية مثلًا، وهو ما يهدد التخصص الدقيق – من وجهة نظره

---

(١٨) يصف فيدوح الاعتماد على "تاريخية الأدب" لتكون مرجعية تاريخ الأدب المقارن بأنها "النقطة السوداء" التي جرت دراسات الأدب المقارن إلى ما وصفه بـ"مستنقع النرجسية" كما أوقعته في "عقدة الأفضلية" بحيث –كما يقول فيدوح– "لم يعد في الإمكان التخلي عن سلطة النموذج. وليس غريبًا أن يقف دارسو فرنسا بإرثهم الكلاسيكي باسطين معاييرهم كمقياس للاكتمال الجمالي والبلاغي على الإطلاق، غير مكترثين بالتطلع إلى شجرة المعارف الأدبية وتجانس بعضها ببعض؛ الأمر الذي أسهم وبشكل خافٍ في أفول دور الأدب المقارن في وظيفة الإبلاغ والتبليغ" (فيدوح، ياسمين، (٢٠٠٩م)، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن: ألف ليلة وليلة نموذجا، دمشق، دار صفحات للدراسات والنشر، ص. ٣٢).

(١٩) التلاوي، جمال نجيب، (٢٠٠٥م)، المثاقفة: عبد الصبور وإليوت (دراسة عبر حضارية)، ترجمة من اللغة الإنجليزية: ماهر مهدي وحنان الشريف، المنيا (مصر): دار الهدى للنشر والتوزيع، ص. ١٠.

– في عملية تعرفه على الظواهر الجمالية الشكلية في الآداب القومية المختلفة، ومقارنة بعضها بالبعض الآخر."[٢٠] وقد نتج عن الإفراط في التركيز على العوامل الخارجية في كثير من مقررات الأدب المقارن في الجامعات السعودية تحوّل الاهتمام إلى تاريخ تطور علم الأدب المقارن أكثر من الاهتمام بآليات وإجراءات المقارنة الأدبية.

ويضاف إلى ذلك أن المنهجية الفرنسية ستحرم طلبة البرنامج من فرصة التعرف على الآداب الأخرى التي لم يكن بينها وبين آداب جزيرة العرب والأدب العربي السعودي تواصل في التاريخ القديم والحديث؛ كآداب أمم شرق آسيا التي لم يحدث –في الغالب– بينها وبين الأدب العربي أي تأثر أو تأثير. فقد آمن – على سبيل المثال– الباحث الكوري سي ون تشانج بجدوى المقارنة بين الأدب القومي الكوري والأدب العربي، وأقر في مقالة بعنوان *إمكانية الدراسة المقارنة في الأدبين العربي والكوري* بأن الأدبين "وإن تشابها في بعض النقاط، لم تقم بينهما يومًا أية صلات؛ نظرًا للبعد الجغرافي، واختلاف السياق الثقافي هنا وهناك."[٢١] ووجد في المنهج الأمريكي في المقارنة الأدبية الآليات الأنسب للمقارنة بين الأدبين العربي والكوري، واختار نماذج من الأدبين للمقارنة بينها في ضوء ذلك المنهج.

وينسجم مفهوم الأدب المقارن في البرنامج مع جانب من الرؤية الأمريكية حول مقارنة الأدب بمجالات أخرى من التجربة الإنسانية، لكن مضمون البرنامج يعتمد على إجراء المقارنة بين الفنون المختلفة التي ترتبط –غالبًا– مع الأدب في عنصر الخيال، بما يشمل المقارنة بين الفنون النصية والمرئية أو الأنواع الأدبية؛ كالخيال العلمي، والتقاليد الأدبية المتعلقة بالمجتمع، والتاريخ، والثقافة، والسياسة.

وينسجم هذا التوسع في المقارنة بين الفنون العربية السعودية –من جهة– والفنون في الثقافات الأخرى –من جهة أخرى– مع توجه المؤسسات الأكاديمية السعودية في الاهتمام باللغة، والشعر، والفنون الأدائية؛ كالمسرح، والفنون البصرية، والتصاميم الفنية، والأفلام والعروض المرئية، والمنحوتات والآثار التاريخية. وفي المقابل، تختلف ممارسات المقارنة في البرنامج عن الممارسات في بعض برامج الأدب المقارن

---

(٢٠) يوسف، مجدي، (١٩٩٣م)، التداخل الحضاري والاستقلال الفكري، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص. ٤٦.

(٢١) تشانج، سي ون، الأدب المقارن، جامعة المدينة (ماجستير)، جامع الكتب الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ج.١ ص.٢٢.

والدراسات الثقافية الأمريكية التي توسعت لتشمل التخصصات التطبيقية؛ كالاقتصاد والزراعة وغيرها من التخصصات التي لا ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالآداب والفنون.

ويتيح مفهوم الأدب المقارن بصيغته المنفتحة على التخصصات المرتبطة بالآداب والفنون المجالَ لطلبة البرنامج في اختيار مقرراتهم وتصميم خططهم الدراسية بما يناسب احتياجاتهم، لكن الإطار العام للمقارنة يكون بين أدبهم الوطني –من جهة– والأدب العربي السعودي من جهة أخرى. وينمي الطالب معرفته بالأدب العربي السعودي من خلال ممارسة المقارنة بين النصوص والأدباء والموضوعات والظواهر الأدبية في مقررات البرنامج، ومن خلال الترجمة لنماذج معاصرة وقديمة من لغته القومية إلى العربية، ولنماذج من الأدب العربي السعودي إلى لغته وأدبه القومي.

إن من أهم المعايير الإجرائية المرتبطة بمفهوم الأدب المقارن في البرنامج تحقق التجانس في الشبه والاختلاف بين الموضوعات والنصوص الأدبية موضوع المقارنة. فقد يعتقد غير المتخصص في المقارنة الأدبية أن الهدف منها هو اكتشاف أوجه التشابه والاختلاف بين الآداب، فيقارن بين نصين أو موضوعين غير متجانسين فنيًا. والحقيقة أن كلتا المدرستين الفرنسية والأمريكية تشترطان وجود التجانس الفني بين الموضوعات والنصوص المستهدفة بالمقارنة، وتختلفان في آليات المقارنة ومعاييرها بعد تحقق التجانس الأدبي بين تلك الموضوعات والنصوص. فالغرض من المقارنة هو –كما يرى تستنشينق ساو– البحث عن الشائع بما يشمل التجانس بين الموضوعات، والنصوص، والمصدر، والقياس، وأوجه التشابه بين الآداب المختلفة، أو بين الآداب والموضوعات الأخرى وغيرها من الموضوعات التي تدخل في صميم الدراسات المقارنة سواء تلك التي تركز على التأثير بالمنهج الفرنسي أو على التشابه والاختلاف حسب المنهجية الأمريكية.[٢٢]

٢– رؤية البرنامج

يرتكز البرنامج في رؤيته على المثاقفة التي تنبثق من "تماس موصول ومباشر بين مجموعة من الأفراد ذوي ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغيرات في الأنماط أو النماذج (Patterns) الثقافية الأولى الخاصة بإحدى المجموعتين أو كليهما."[٢٣] ويُنتج ذلك الاحتكاك الثقافي تحولات نفسية واجتماعية وفكرية في

(٢٢) Cao, The Variation Theory of Comparative Literature, p. xxi.

(٢٣) الزين، محمد شوقي، (٢٠١٣م)، الثقاف في الأزمنة العجاف: فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب: مقاربات فكرية، الجزائر، منشورات ضفاف، ص.٤٧.

الجماعات والأفراد، وتتجلى تلك التحولات والتغيرات في تجليات ومظاهر مختلفة في الثقافات المتجاذبة، "فعلى مستوى المجموعة البشرية الواحدة فإن التثاقف غالبًا ما يفضي إلى تحولات في الثقافة والعادات والمؤسسات المجتمعية. ومن التحولات الجديرة بالملاحظة على مستوى المجموعة البشرية تحولات تشمل الأطعمة والملابس، بل حتى اللغة."[٢٤]

وتعتمد منهجية البرنامج في تعليم الطلبة الدوليين على الاتجاهات التواصلية والاستعمالية في تعليم اللغة التي تقوم على مبدأ تدريس اللغة بالانغماس اللغوي language immersion وبالتفاعل الاجتماعي والثقافي في بيئة اللغة الحقيقية،[٢٥] بما يعزز الاكتساب اللغوي والمعرفي والثقافي عند طلبة البرنامج؛ ويؤهلهم للتعامل مع اللغة الأدبية التي ترتكز على الاستعارات والمجازات غير المباشرة. كما يستفيد البرنامج من استراتيجيات تعليم اللغة للناطقين بغيرها بما ينسجم مع الدراسات الأدبية من خلال الاحتكاك المباشر بأبناء اللغة؛ كاستراتيجية التوجيه اللغوي الأدبي (linguistic and literary guidance) التي تعتمد على دورات توجيهية للطلبة تركز على الخصوصية اللغوية والأدبية، واستراتيجية تلقين وتدريس العبارات الثقافية والأدبية الخاصة بالحياة اليومية، واستراتيجية السكن والعيش مع العائلات المستضيفة (host families)، واستراتيجية اعتماد الشريك اللغوي الثقافي (speaking partner) الذي يرافق الطلبة أثناء فترة الالتحاق بالبرنامج التعليمي، واستراتيجية العمل التطوعي (volunteer work) التي تتيح للطالب المشاركة في الأعمال التطوعية الأدبية والثقافية، واستراتيجية محاكاة العادات والتقاليد (simulation of customs and traditions) في المناسبات كالمناسبات الأدبية والثقافية.[٢٦] كما يمكن تفعيل استراتيجية التبادل اللغوي (language exchange) في لقاءات أدبية لقراءة النصوص الأدبية بأكثر من لغة، ولتفعيل التبادل الأدبي والثقافي بين الطلبة.

---

(٢٤) الخليل، سمير، (٢٠١٦م)، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي: إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، مراجعة وتعليق: سمير الشيخ، بيروت: دار الكتب العلمية، ص. ٢٧٠.

(٢٥) Wilkinson, Sharon, (1998), On the Nature of Immersion During Study Abroad: Some Participant Perspectives, Frontiers: The Interdisciplinary Journal of Study Abroad 4 (2), 121–138; Cummins, Jim, (2009) Bilingual and Immersion Programs, in Long, M and Doughty, C (Eds) The Handbook of Language Teaching, Malden, MA: Wiley-Blackwell.

(٢٦) الباقيلي، جواد، (٢٠١٩م)، استراتيجيات تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها وتحدي المقوم الثقافي، في "أبحاث المؤتمر الدولي الأول: العربية للناطقين بغيرها الحاضر والمستقبل (١)"، تحرير: د. هاني إسماعيل رمضان، يمينة عبدالي، جامعة غرسيون، ص. ٦٨٤–٦٩٠.

وينطلق البرنامج في توجهاته من التوجهات الثقافية المعاصرة للمملكة ورؤيتها تجاه الآخر وأدبه وثقافته، كما يرتكز في مضمونه وتطبيقاته على الرؤية الأمريكية للأدب المقارن التي ترتكز على النص أكثر من ارتكازها على السياقات الخارجية، بما ينسجم مع رغبة القائمين على المؤسسات الثقافية والأدبية في المملكة في نهوض وتطور الأدب السعودي بوصفه مكونًا من مكونات الثقافة السعودية؛ لأن "كل أدب قومي يلتقي حتمًا في عصور نهضاته بالآداب العالمية، ويتعاون معها في توجيه الوعي الإنساني أو القومي."[٢٧] ويعد الاحتكاك الأدبي بالآداب الأخرى، والاستفادة من تجاربها الأدبية، ونقل التجربة الأدبية السعودية إلى أدباء ونقاد تلك الآداب من الخطوات التي يجب أن يتّبعها الأدب السعودي في حاضره كي ينتشر عالميًا في المستقبل.

وإذا كانت العالمية تعني في مفهومها الظاهر –كما يعرفها محمد غنيمي هلال– "خروجه [أي الأدب] من نطاق اللغة التي كتب بها إلى أدب لغة أو آداب لغات أخرى"،[٢٨] فسيجد المتأمل في المفهوم العميق للعالمية صعوبة في وصف أدب من الآداب بالعالمية؛ لأن الآداب القومية في جوهرها نتاج تاريخ طويل يتضمن أحداثًا وأدباء ونصوصًا أدبية ارتبطت بأمة من الأمم، وانتقلت تلك النصوص إلى الآداب الأخرى؛ فوُصفت بالعالمية. من هنا؛ فإن العالمية صفة نسبية يصعب الجزم بتحققها، كما لا يمكن الجزم بنفيها. والثابت أن تدريس الأدب العربي السعودي للطلبة الدوليين من الناطقين بغير العربية وقيامهم بدور الوسيط بين هذا الأدب وآدابهم القومية يمكن أن يقرب أدباء سعوديين ونماذج من النصوص الأدبية السعودية من صفة العالمية. وتتنوع الوسائل لتحقيق هذه الرؤية المستقبلية للأدب العربي السعودي بتنوع وسائل التواصل الأدبي، وفي مقدمتها مستقبِل الرسالة الأدبية.

إن استقبال الطلبة الدوليين من الناطقين بغير العربية، وتدريسهم الأدب العربي السعودي، وتطوير مهاراتهم في تحليل نماذج من الروايات والقصص والقصائد السعودية، ومقارنة تلك النماذج الأدبية السعودية بنماذج مشابهة في آدابهم القومية ينشر الأدب السعودي عالميا؛ لأن الأدب المقارن "يساعد على خروج الآداب القومية من عزلتها، كي ينظر إليها بوصفها أجزاء من بناء عام هو ذلك التراث الأدبي العالمي

(٢٧) هلال، محمد غنيمي، (١٩٩٨م)، الأدب المقارن، (د.ط)، القاهرة، دار نهضة مصر، ص.١٤.

(٢٨)هلال، الأدب المقارن، ص.٩٣.

مجتمعًا."[٢٩] وقد يرى هؤلاء الطلبة الدوليين ما لم يره النقاد السعوديون الذين تطورت مهاراتهم النقدية بطريقة منهجية تعتمد على مقررات وموضوعات شبه موحدة، وتكون مخرجاتها –في الغالب– متقاربة.

يضاف إلى ذلك أن مشاركة الطلبة الدوليين زملاءهم من الطلبة السعوديين في دراسة نماذج من الأدب العربي السعودي في جامعة سعودية، ومقارنتها مع نماذج من آدابهم القومية تخلق ما يسميه فيلسوف التواصل الألماني يورغن هابرماس Jürgen Habermas "عالم الحياة" Lebenswelt الذي يشكل شبكة من المعاني والمفاهيم المشتركة التي تنتج عن عمل الطلبة معًا بشكل وثيق في مهمة مشتركة ذات هدف مشترك.[٣٠] ويؤثر هذا النشاط الأدبي المشترك بين الطلبة الدوليين والسعوديين في رؤية غير السعوديين للثقافة العربية السعودية ومكوناتها الأدبية، كما يؤثر –في المقابل– في نظرة الطلبة السعوديين للآخر وأدبه وثقافته.

إن الحديث عما يمكن وصفه بتسويق الأدب العربي السعودي من خلال طلبة البرنامج الدوليين بما يسهم في عالميته لا يعكس ما وصفه عبده عبود بـ"تعطش عربي شديد إلى الحصول على اعتراف عالمي برقي الأدب العربي الحديث وتطوره."[٣١] بل يهدف إلى تعزيز المكانة الثقافية للمملكة دوليًا، وتعريف الطلبة الدوليين بالثقافة العربية السعودية؛ لينقلوها إلى لغاتهم وثقافاتهم القومية بأسلوب إيجابي يقاوم بعض الصور النمطية السلبية عن الثقافة العربية عند بعض الأمم.

٣– المتلقي والمرسل لرسالة البرنامج

إن رسالة البرنامج في جوهرها رسالة أدبية إنسانية، تركز –من جهة– على المشترك الأدبي بين الأمم المختلفة دون تحيز أو تمييز، ودون تفريق بين آداب أمم العالم المتقدم وآداب أمم العالم الثالث؛ لأن مصدر الأدب هو المشاعر الإنسانية المشتركة بين الأمم الغنية والفقيرة، وتركز –من جهة أخرى– على المشترك الإنساني بين الشعوب دون النظر لطبقتهم الاجتماعية، ودون تقديم للثقافة الرسمية على الثقافة الشعبية أو العكس. ولا ترتبط رسالة البرنامج بالبناء الفوقي للمجتمع كما يؤمن المقارنون الماركسيون الذين يرون أن

---

(٢٩) هلال، الأدب المقارن، ص.٢٠.

(٣٠) Geoffrey Pigman,(2010) Contemporary Diplomacy, Polity Press UK, p.188

(٣١) عبود، عبده، (١٩٩٨م)، "عالمية الأدب العربي الحديث"، مجلة الفيصل، (٢٦٠)، (ص. ٣٥–٣٨)، ص.٣٥.

البناء الفوقي يتأثر بالبناء التحتي الاقتصادي، ومن ثمَّ تكون المقارنة منحصرة بين آداب المجتمعات المتقاربة في التطور الاقتصادي.[٣٢]

وتنسجم رسالة البرنامج مع الرؤية الإنسانية للأدب المقارن عند عدد من الرواد الأوائل للأدب المقارن من الأوروبيين الذين دعوا إلى "أفق إنساني أوسع في العلاقات الأدبية الإنسانية، سواء أكانت العلاقة بين التنوع الثقافي في إطار الجغرافيا الأوروبية أم اتسع الأفق لينفتح على الثقافات التي تتجاوز الحدود الأوروبية."[٣٣] كما تتفق رسالة البرنامج –إلى حد كبير– مع دعوة يوهان غوته Johann Goethe إلى أدب عالمي يستند على "وعي التقاليد القومية للبلدان الأخرى والانفتاح على الأعمال المكتوبة فيها، والنقل والتبادل بين مختلف الآداب بنحو يوازي النقل والتبادل التجاري ويكملهما، على ألاّ يفضي هذا إلى التخلي عن التقاليد القومية أو انزواء الآداب القومية واختفائها."[٣٤]

لقد تنبهت كثير من الأمم التي عرفت تاريخيًا بالانطواء على ذاتها وأدبها وثقافتها إلى الرسالة الإنسانية والتأثير الثقافي للدراسات الأدبية المقارنة ودورها في تطور الآداب القومية، فتحولت من البعد عن الآداب الأجنبية إلى البحث عنها. ففي القارة الآسيوية –على سبيل المثال– أنشئت في عدد من البلدان فروع للرابطة الدولية للأدب المقارن AILC، ومن أبرزها الصين التي عُرفت تاريخيًا بانطوائها الفكري، وعدم ترحيبها بالانفتاح الثقافي على العالم؛ حيث نشطت في جامعاتها حركة المقارنة مع الآداب والثقافات الأخرى. إضافة إلى ذلك، تصدر جامعات تايوان وكوريا الجنوبية دوريات أدبية باللغة الإنكليزية تظهر اهتمامًا متزايدًا بالأدب المقارن.[٣٥]

إن الاختلاف بين واقع الميول والاهتمامات والاحتياجات والرغبات الأكاديمية والحياتية في العالم المعاصر وواقع عالم القرن العشرين يحتم إعادة النظر في مضمون برامج الأدب المقارن والشريحة المستهدفة بتلك البرامج، بحيث تعتمد البرامج المستحدثة في مضمونها على العلاقة بين الأدب المقارن والفنون، والأدب المقارن وعلم الجمال، والأدب المقارن والتكنولوجيا، والأدب المقارن والعلوم، والأدب المقارن والبيئة، وغيرها من التخصصات التي تنبئ –كما ترى فيني– بما ينتظر تخصص الأدب المقارن، حيث يتغذى ذلك

(٣٢) بكار، يوسف، (٢٠١٨م)، في الأدب المقارن: مفاهيم وعلاقات وتطبيقات، عمان، الآن ناشرون وموزعون، ص.٤٦.

(٣٣) الكاسح، اتجاهات الأدب المقارن، ص. ١٣.

(٣٤) بكار، في الأدب المقارن، ص.٢٤.

(٣٥) الخطيب، حسام، (١٩٩٢م)، آفاق الأدب المقارن، بيروت، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص.٩٠.

التخصص مثلما تتغذى الأميبا من خلال الحقول الأخرى المتنوعة التي يتم استيعابها في جسدها القابل للاختراق.[٣٦] وكما يدفع الواقع المعاصر الجامعات إلى التوسع في مضمون برامج دراسات الأدب المقارن، فإن الواقع ذاته يدفع إلى التوسع في الشريحة المستهدفة بتلك البرامج.

تنطلق محددات الشريحة المستهدفة ببرنامج الأدب المقارن من رؤية البرنامج؛ فإذا كانت رؤية البرنامج تعتمد على تشجيع التخصصات البينية فإن شريحة المستهدفين بالبرنامج ستتسع لتشمل المتخصصين في جل التخصصات النظرية بما يشمل اللغة، والتاريخ، والقانون، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والإعلام، والاتصال، وجل التخصصات التطبيقية كالعلوم، والفلك، والتصاميم، والبيئة، وغيرها. ولأن رؤية البرنامج المقترح في الدراسة تعتمد على الانفتاح على الآخر المختلف في لغته وثقافته وأدبه عن الذات، فإن الشريحة المستهدفة تختلف عن برامج الأدب المقارن الأكاديمية التقليدية.

ويستهدف برنامج الأدب المقارن المتخصصين في الآداب بأنواعها وأشكالها وأجناسها المختلفة من شريحة المتقنين للغة أخرى إضافة إلى اللغة العربية، سواء كانوا من الناطقين بغير العربية أو من ثنائيي اللغة. فإن قراءة النص غير العربي وفهمه واستيعابه ضرورة من ضرورات مقارنة ذلك النص بالنص الأدبي العربي السعودي، كما أن قراءة النص العربي السعودي وفهمه واستيعابه ضرورة من ضرورات مقارنته بالنص الأجنبي. ويتحقق شرط إتقان اللغتين في الطلبة الدوليين من الناطقين بغير العربية الذين تعلموا العربية، كما يتحقق في الطلبة العرب من السعوديين وغيرهم الذين أتقنوا لغة أخرى غير العربية. وانطلاقًا من الرؤية الثقافية للبرنامج، فإنه يستهدف الشريحة الأولى من الطلبة الدوليين الناطقين بغير العربية؛ كي يتحقق هدفه المتمثل في نقل الصورة الحقيقية للأدب العربي السعودي، وموضوعاته، وأدبائه، وتاريخه إلى اللغات والثقافات غير العربية، ونشر النماذج المتميزة من الأدب العربي السعودي عالميًا.

يجد المتأمل في واقع الطلبة الدوليين من الناطقين بغير العربية الذين يدرسون في الجامعات السعودية أن جلهم ينتمي –في الغالب– إلى قارتي آسيا وإفريقيا مع أقلية من بقية القارات. ولأن دراسات الأدب المقارن تعتمد على اللغة ولا تلتفت إلى العرق إلا من جهة ارتباطه بالثقافة، فإن كثيرًا من طلبة البلدان الآسيوية والإفريقية التي تعرضت للاستعمار الأوروبي في القرنين التاسع عشر والعشرين ثنائيو اللغة، ويتقنون اللغة الأدبية للمستعمِر الفرنسي والإنجليزي والإسباني والإيطالي والبرتغالي مثل إتقانهم للغتهم

(٣٦) Finney, The Reign of the Amoeba, p19.

الأصلية. وإذا استهدف البرنامج الطلبة الدوليين ثنائيي اللغة دون أن يتجاهل أحاديي اللغة، فسيتيح التنوع اللغوي عند طلبة البرنامج المجال للاحتكاك المباشر بين الأدب العربي السعودي والآداب الأوروبية العالمية.

وكما يتطلب نجاح البرنامج أن يتصف المتلقي المستهدف من الطلبة الدوليين بصفات علمية وثقافية ومهارات لغوية محددة، فعلى المرسل لرسالة البرنامج والأستاذ لمقرراته الذي يوجه الطلبة عند إجراء المقارنة أن يتسم بالصفات والمهارات العلمية واللغوية ذاتها، إضافة لضرورة تمكنه من مهارات التوظيف العملي لمنهج المقارنة، وفي مقدمتها صفتا: المعرفة المسبقة والاستعداد الموسوعي؛ لأنهما –كما يقول سعيد علوش– "صفتان لن تقودا، فقط، إلى التأريخ للعلاقة بين الآداب القومية، وهو ما نطلق عليه البحث عن (كيفيات العلاقة) في الأدب المقارن، وهو جوهر منهج المقارنة التاريخية الذي يتبناه الدكتور محمد غنيمي هلال. صفتا المعرفة، والاستعداد الموسوعي ستمكنان المقارن أيضًا من: (الملاحظة والقراءة والتفسير والتأويل)؛ فتلتقي كل هذه الأفعال مشكّلة نظامًا ينهض بمهمة مقارنة الظواهر الأدبية من خلال نقدها ومقاربة بنيتها (كيفيات البناء)."[٣٧] ولن تتحقق صفة الاستعداد الموسوعي إلا في الناقد الواعي بأن مصدر جميع اللغات الإنسانية مشترك –كما يرى عالم اللسانيات التوليدي نعوم شومسكي Noam Chomsky– وأن اللغة مرآة تعكس العقل الإنساني، وأن الأدب تجربة لغوية إنسانية، وأن النماذج الأدبية المتميزة هي ضالة عالم الأدب المقارن يستفيد منها حيثما وجدها. كما أن صفة المعرفة المسبقة لن تتحقق إلا في الأستاذ المطلع على الآداب الأخرى والملم بالأدب العربي السعودي وتاريخه، وموضوعاته، وأجناسه: الفصيحة والشعبية.

ومن أهم ما ينبغي أن يؤمن به أساتذة البرنامج أن حركة تطور الأدب تشبه –إلى حد كبير– حركة التطور في العلوم الأخرى الإنسانية؛ كعلوم اللسانيات والنفس والاجتماع، أو التطبيقية؛ كالطب والهندسة والفيزياء، وغيرها من العلوم المشتركة التي لا يمكن أن تتطور بطريقة مستقلة في أمة منعزلة عن الأمم الأخرى؛ لأن المعرفة تراكمية تتشارك فيها الأمم، وتبدأ كل أمة من حيث انتهت الأمم الأخرى. فمقارنة موضوعات الأدب العربي السعودي ونماذجه بموضوعات ونماذج من الآداب الأخرى حاجة يفرضها الحرص على تطور الأدب العربي السعودي بما يحافظ على أصالته الموروثة من الماضي، ويمنعه من الانعزال والانطواء على الذات في الحاضر، ويضمن بقاءه واستمراره في المستقبل.

---

(٣٧) الكاسح، اتجاهات الأدب المقارن، ص. ١٧.

ومن أهم ما يميز الثقافة العربية السعودية أن جزيرة العرب لم تخضع للاستعمار الأوروبي الذي خضعت له عدد من بلدان آسيا وإفريقيا في القرن العشرين، وهو ما جعل انفتاح آداب تلك الأمم المستعمَرة على أدب المستعمِر –إلى حد كبير– انفتاحًا قسريًا. لكن انفتاح الأدب العربي السعودي على الآداب الأخرى انفتاح طوعي، وفيه "تنفتح أمّة أو أمم أو شعب أو شعوب على ثقافة أمة أو أمم أو شعب أو شعوب أخرى للاستفادة الحضارية، وأن تكون بعض عناصر ثقافة «المنفتح» (بكسر التاء) لقاحًا يُثري ثقافته القومية وعامل إخصاب لها."[٣٨] ونجاح الانفتاح الأدبي على آداب الأمم الأخرى يكون على يد ناقد يؤمن بفكرة التفاعل مع الآداب الأخرى دون إفراط وتنازل عن الذات وذوبان في الآخر، أو تفريط وتعصب للذات والثقافة القومية.

لا يتطلب تدريس تخصص بيني، مثل تخصص الأدب المقارن للطلبة الدوليين، أن يكون الأستاذ متخصصًا في الأدب المقارن أو نظرية الأدب، لكنه يتطلب –على الأقل– أن يكون مطلعًا على أدب من الآداب الأجنبية الشرقية أو الغربية سواء كان متخصصًا في اللغات، أو الثقافات، أو الفنون، أو دراسات الأفلام، أو دراسات المسرح، أو الدراسات الثقافية، أو دراسات الترجمة، أو تاريخ الأدب، أو الأدب القديم، أو اللغويات الاجتماعية، أو اللغويات النفسية، أو غيرها من التخصصات الإنسانية. بالإضافة إلى ضرورة أن يكون لدى أستاذ الأدب المقارن خبرة في الثقافات التقليدية والحديثة سواء كانت عربية، أو إسلامية أو شرق أوسطية أو غيرها من الثقافات العالمية. يضاف إلى ذلك أن من أهم أهداف البرنامج تفعيل التخصصات والدراسات البينية المرتبطة بالأدب العربي السعودي والآداب الأخرى. ويتطلب تحقيق هذا الهدف أن يكون الناقد مؤمنًا بأهمية البحوث البينية العابرة للثقافة، وأن يتفاعل مع طلبة البرنامج؛ بوصفهم ممثلين لثقافات متنوعة يكمل كل منهم الآخر، ويمثل كل منهم ثقافته وأدبه القومي.

وإذا كان الأدب المقارن كما يصفه ماريوس فرانسوا جويار Marius Francois Guillard (ت. ١٩٧٣م) بأنه "تاريخ العلائق الأدبية الدولية، فالباحث المقارن يقف عند الحدود اللغوية والقومية ويراقب مبادلات الموضوعات والفكر والكتب، بين أدبين أو عدة آداب،"[٣٩] فإن على المرسل الناجح لرسالة البرنامج أن يكون مطلعًا على تاريخ التواصل الحضاري والثقافي بين المجتمع العربي السعودي وسكان جزيرة العرب

(٣٨) بكار، في الأدب المقارن، ص.٢٥.

(٣٩) جويار، ماريوس فرانسوا، (١٩٥٦م)، الأدب المقارن، ترجمة د. محمد غالب، بيروت، مطبعة لجنة البيان العربي، ص.٥؛ فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، ص. ٢٣.

–من جهة– والمجتمعات المجاورة وغيرها من جهة أخرى. فقد نقل لنا التاريخ أمثلة متعددة من التواصل الثقافي والأدبي بين سكان جزيرة العرب والأمم الأخرى من خلال الرحلات والترجمة؛ كتواصلهم مع الثقافتين اليونانية والفارسية في العصرين الأموي والعباسي، وتواصلهم مع الثقافات الآسيوية والإفريقية قديمًا وحديثًا. وامتد التواصل الأدبي بين العرب والأمم الأخرى؛ ليصل إلى القارتين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية في القرنين التاسع والعشرين. وقد تناولت مؤلفات الأدب المقارن العربية وغيرها ذلك التواصل الأدبي بين العرب وغيرهم بالرصد، والتحليل، والجمع، والتفصيل.

ومن أهم ما يميز دراسات الأدب المقارن أنها متجددة ومتغيرة ومرنة نتيجة لطبيعتها البينية ولحداثتها بالمقارنة مع الدراسات الأدبية التقليدية المعتمدة على ثنائية الشعر والنثر، وللتطور المستمر في حقل النظريات النقدية والثقافية. وعليه؛ يجب أن يتصف المرسل لرسالة الأدب المقارن والأستاذ لمقرراته بصفة المرونة وتقبّل التغيير، ويبتعد عن التعصب للأدب والثقافة القومية؛ كي ينجز أفكارًا إبداعية مع طلبته، ويستغل اختلافاتهم الثقافية، ويطور مهارتهم البحثية والمعرفية بما يهيئهم لوظائف متنوعة في قطاعات مختلفة تشمل النشر، والإعلان، والإعلام، والعمل في القطاعات المرتبطة بالأدب والفن والثقافة والترجمة في المنظمات الحكومية وغير الحكومية.

٤– المخرجات المتوقعة للبرنامج

ترتبط نتائج برنامج الأدب المقارن بالقطاعات الثلاثة التي أسست الجامعات لخدمتها: التعليم، والبحث، وخدمة المجتمع. حيث يعِد البرنامج خريجيه ليعملوا في أفضل الجامعات والمؤسسات التعليمية العامة والخاصة في بلدانهم حول العالم، لا سيما العمل في مجال الدراسات الأدبية المقارنة بعد أن درسوا آداب أمم متنوعة في فترات زمنية ولغات مختلفة سواء عبر نصوصها الأصلية لمن يجيد لغة النص، أو من خلال الترجمة لمن لا يجيدها. كما يُعد البرنامج خريجيه للعمل في عدد من المجالات المختلفة التي اكتسبوا مهاراتها من خلال دراستهم في البرنامج؛ كمجال الترجمة من العربية وإليها، ومجال دراسات الأدب العربي، ومجال الدراسات الثقافية.

ويسهم البرنامج في فتح مجالات جديدة للتعاون البحثي الدولي. من ذلك –على سبيل المثال– إنشاء لجان ومجموعات بحثية تضم المهتمين بالأدب المقارن من الأكاديميين وغيرهم، وتنظيم مؤتمرات دورية للمتخصصين من طلبة البرنامج وغيرهم. كما يسهم البرنامج في دعم مشاركة خريجيه في المؤتمرات العالمية المتخصصة في تخصص الأدب المقارن والتخصصات البينية المرتبطة به؛ كالعلوم الإنسانية، والفنون

اللغوية، والعلوم الاجتماعية. إضافة إلى ذلك، يخلق البرنامج مجموعة من الشراكات الاستراتيجية بين الباحثين السعوديين والطلبة الدوليين المتخرجين في البرنامج الذين يعملون وسطاء بين ثقافاتهم والثقافة العربية السعودية من خلال تفعيل المبادرات التي تنفّذها الجهات الثقافية بالمملكة؛ كمبادرات التمويل البحثي النوعي وشراكات المجموعات والجمعيات البحثية بما يسهم في تعزيز مكانة المملكة الثقافية دوليًا، ويحقق مصالحها على الصعيدين الإقليمي والدولي.

فتحقيق الهدف الرئيس لبرنامج الدراسات الأدبية المقارنة المتمثل في الانفتاح على الآخر والتأثير فيه والتأثر الإيجابي به ينسجم مع طبيعة المجتمع الحيوي السعودي. ويتجلى الدور الثقافي لبرنامج الأدب المقارن الذي يستهدف الطلبة الدوليين في إتاحة فرصة التبادل الثقافي مع الطلبة الدوليين للمملكة من دول العالم الذين يمثلون ثقافات مختلفة، وينقلون نماذج من آدابهم المتنوعة للغة العربية، بما ينعكس إيجابيًا على الثقافة السعودية، ويشجع الحوار والاحتكاك الثقافي مع الثقافات المختلفة لطلبة البرنامج الدوليين بما يعزز قيمة التسامح الذي ينسجم –بدوره– مع إرث المملكة في التعامل مع الثقافات الأخرى.

ويتيح البرنامج فرصة الاستفادة من طلبته الدوليين –بصفتهم متخصصين في ثقافاتهم القومية ووسطاء بين ثقافاتهم والثقافة السعودية– لنقل تجاربهم الثقافية بما يسهم في تقديم خيارات ثقافية جديدة تعزز مشاركة المواطن والمقيم في الأنشطة الثقافية التي تسهم في تعزيز جودة حياة الفرد والأسرة السعودية. وتنسجم مخرجات البرنامج مع واقع التواصل الحضاري بين المملكة والبلدان الأخرى، فمقارنة طلبة البرنامج لآدابهم القومية مع الأدب العربي السعودي يؤثر إيجابًا على الصورة الذهنية للمملكة وثقافتها، ويخلق عند طلبة البرنامج الدوليين شكلًا من أشكال الانتماء للثقافة العربية السعودية؛ لينشروا جوانبها الإيجابية بين شعوبهم؛ بما يحقق هدف "مد جسور التواصل مع الشعوب والثقافات المتنوعة، وتعزيز الصورة الذهنية الإيجابية عن المملكة العربية السعودية ومكانتها دولياً."(٤٠)

الخاتمة

يستنتج مما سبق وصفه عن برنامج الأدب المقارن الذي يستهدف الطلبة الدوليين لمقارنة آدابهم القومية بالأدب السعودي نتائج وتوصيات عدة أهمها:

١– أن تأسيس برنامج أكاديمي في الأدب المقارن يستهدف الطلبة الدوليين؛ ليدرسوا الأدب العربي السعودي في مقررات البرنامج، وليقدموا نماذج من آدابهم للترجمة للغة العربية وللمقارنة بنماذج من الأدب

(٤٠) سلام للتواصل الحضاري. رابط الموقع الإلكتروني: https://salam4cc.org/who-we-are/

العربي السعودي يفتح آفاقًا جديدة لتطور دراسات الأدب العربي السعودي في مناهج الجامعات السعودية، ويحرك عجلة التأثر والتأثير بين الأدب العربي السعودي والآداب الأخرى غير العربية، ويُلفت الانتباه إلى جوانب جديدة غفلت عنها المناهج الحالية، كما يدفع إلى مراجعة بعض الموضوعات التي لا تفيد حاضر دراسات الأدب العربي السعودي ومستقبله في تلك المناهج.

٢- أن رؤية برنامج الأدب المقارن الذي يستهدف الطلبة الدوليين تنسجم مع الرؤية الثقافية للمملكة التي تقوم على الانفتاح على الآخر، وأن رسالته ليست رسالة تعليمية فحسب، وإنما هي رسالة إنسانية وثقافية تقوم على المثاقفة والتفاعل مع الآخر.

٣- تُعد المنهجية الأمريكية ملائمة للبرنامج ورسالته ومقرراته؛ لأنها تتبع طريقة المقارنة بين آداب لم يثبت تاريخيًا حدوث التأثر والتأثير بينها، كما أنها تقارن بين الأجناس الأدبية المختلفة.

٤- أن المرسل المثالي لرسالة البرنامج هو الأستاذ المرن في منهجيته الذي يؤمن بحاجة الأدب العربي السعودي للتطور والانفتاح على الآداب الأخرى، ويبحث عن عوامل التجديد الثقافي والفكري في مقارنة أدبهم القومي بالآداب الأخرى.

٥- أن نتائج البرنامج تمتد لتشمل قطاعات التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع التي تخدم الأهداف الثقافية والعلمية والبحثية والمجتمعية للجامعات السعودية.

المراجع

أولا: المراجع العربية

البارز، حازم فاضل، (٢٠٢١)، الأدب المقارن: مقاربة وإجراء، عمان، مركز الكتاب الأكاديمي.

الباقيلي، جواد، (٢٠١٩)، استراتيجيات تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها وتحدي المقوم الثقافي، في "أبحاث المؤتمر الدولي الأول: العربية للناطقين بغيرها الحاضر والمستقبل (١)"، تحرير: د. هاني إسماعيل رمضان، يمينة عبدالي، جامعة غرسيون، ص. ٦٨٤-٦٩٠.

بكار، يوسف، (٢٠١٨)، في الأدب المقارن: مفاهيم وعلاقات وتطبيقات، عمان، الآن ناشرون وموزعون.

تشانج، سي ون، الأدب المقارن – جامعة المدينة (ماجستير)، جامع الكتب الإسلامية جامعة المدينة العالمية.

التلاوي، جمال نجيب، (٢٠٠٥)، المثاقفة: عبد الصبور وإليوت (دراسة عبر حضارية)، ترجمة من اللغة الإنجليزية: ماهر مهدي وحنان الشريف، المنيا (مصر): دار الهدى للنشر والتوزيع.

جويار، ماريوس فرانسوا، (١٩٥٦)، الأدب المقارن، ترجمة د. محمد غالب، بيروت، مطبعة لجنة البيان العربي.

الخطيب، حسام، (١٩٩٢)، آفاق الأدب المقارن، بيروت، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الخليل، سمير، (٢٠١٦)، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي: إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، مراجعة وتعليق: سمير الشيخ، بيروت: دار الكتب العلمية.

الزين، محمد شوقي، (٢٠١٣)، الثقاف في الأزمنة العجاف: فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب: مقاربات فكرية، الجزائر، منشورات ضفاف.

عبد العزيز، أحمد، (٢٠٠٢)، نحو نظرية جديدة للأدب المقارن، القاهرة، المكتبة الأنجلو المصرية.

عبود، عبده، (١٩٩٨)، "عالمية الأدب العربي الحديث"، مجلة الفيصل، (٢٦٠)، (ص. ٣٥-٣٨).

فيدوح، ياسمين، (٢٠٠٩)، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن: ألف ليلة وليلة نموذجا، دمشق، دار صفحات للدراسات والنشر.

الكاسح، إبراهيم أنيس محمد، (٢٠٢١)، اتجاهات الأدب المقارن، بيروت، دار الكتب العلمية.

يوسف، مجدي، (١٩٩٣)، التداخل الحضاري والاستقلال الفكري، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ثانيا: المراجع الأجنبية

Cao, Shunqing, (2014), *The Variation Theory of Comparative Literature*, Berlin, Springer Science & Business Media.

Cummins, Jim (2009), Bilingual and Immersion Programs. In: Long, M and Doughty, C (Eds) *The Handbook of Language Teaching, Malden*, MA: Wiley-Blackwell.

Finney, Gail (2017), "The Reign of the Amoeba: Further Thoughts about the Future of Comparative Literature." In: *Futures of Comparative Literature: ACLA State of the Discipline Report*, ed. Ursula K Heise, Taylor & Francis, (19-23).

Kapor, Vladimir (2011), On a Postcolonial Dialogue de Sourds: Exotisme in Contemporary French Criticism. In: J. McCormack, M. Pratt, & A. Rolls (Eds.), *Hexagonal Variations: Diversity, Plurality and Reinvention in Contemporary France.* (397-411).

Pigman, Geoffrey (2010), Contemporary Diplomacy, UK, Polity Press.

Remak, Henry, (1961), Comparative Literature, Its Definition and Function. In: Stallknecht, N.P. and Frenz, H., Eds., Comparative Literature: Method and Perspective, Carbondale, Southern Illinois University Press.

Wilkinson, Sharon (1998), On the Nature of Immersion during Study Abroad: Some Participant Perspectives, Frontiers: *The Interdisciplinary Journal of Study Abroad* 4 (2), (121–138).

Establishing an Academic Program for International Students in Comparative Literary Studies: Cultural Feasibility, Challenges and Solutions *

Mustafa Muhammad Binmayaba[1] and **Lubna Mohammed al-Shanquitiy**[2]

[1] Professor, Department of Arabic Language and Literature, and [2] Associate Professor, Department of General Courses, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, KSA

Abstract. Comparative literature studies in many international universities, both in the East and West, have shifted from the periphery to the center. These universities' interest in linguistic and literary fields has varied, ranging from including comparative literature courses in their curricula to allocating specialized academic programs in comparative literary studies or establishing dedicated departments for comparative literature. This study adopts a descriptive approach to present a proposal for developing an educational program in graduate studies at a Saudi university. This program is concerned with teaching comparative literature and targets international students who are non-Arabic speakers. In this program, students will explore the history of Saudi literature, its themes, and some of its models; they will also compare these with their national literature using the academic and scientific methods of the comparative approach. The study demonstrates how the idea of the proposed program and its cultural and civilizational message align with the cultural orientations of the Quality-of-Life Program in Kingdom 2030. It also describes the nature of the "comparative literature" concept as integrated into the program's courses and how it fits the vision and cultural message of the program. Additionally, the study outlines the expected outcomes and results, preparing students to act as mediators between Saudi Arabian culture and literature and their own national cultures and literature.

Keywords: Arabic Language, International non-Arabic Speakers, Comparative Literature, Non-Arabic Literature, Saudi Universities, Postgraduate Studies.

* This research was funded by the Institutional Fund Projects under grant no (IFPAS-06٧-125-2020). Therefore, authors gratefully acknowledge technical and financial support from the Ministry of Education and King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.